يوليو 2020 م
ذو القعدة 1441هـ
العدد الثاني

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية ICEFS

The International Center for Educational and Family Strategies

ISSN 2633-206X

London United Kingdom

July 2020 Vol.1, No.2

مجلة

سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

SENAD for Education and Family Research

تنمية المهارات والقدرات لدى الشباب من خلال السيرة النبوية

أ.د. رشيد محمد كهوس

Dr. Rachid Mohamed Kohouss

جامعة عبد المالك السعدي / المغرب

rachid1433@yahoo.com

تقديم:

إن رسالة السيرة النبوية العطرة هي بلاغ الله الأخير لأهل الأرض، وميثاقه المنزل الذي يرسم المنهاج الصحيح لرحلة الإنسانية الكبرى، وهي الأنموذج والمثال والمرجعية والمعيار، ودستور الحياة، وديوان الحضارة الإنسانية الراقية في أبهى العصور وأزهاها، حيث يتجلى أثر الإسلام في الحياة البشرية، وقيمه في التعامل مع مختلف الفئات العمرية.

ذلك بأن السيرة النبوية الخالدة هي منهاج الوصول إلى بناء الإنسان والعمران، وإقامة المجتمع الفاضل والحياة الإنسانية الكريمة.. في ضوء هدايات الوحي الأعلى وأنواره وبصائره.

إن عطاء السيرة النبوية العطرة خالدٌ متجدد لا محدود لكل الأجيال، وبلاغها الرساليّ مستمرٌ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ففيها ما تحتاجه البشرية من رشد وهدايةٍ وصلاحٍ في المعاش والمعاد.

فهي ربانية مسددة بالوحي، وعالمية تستوعب الأمم كلّها، والعصور المعاصرة لها واللاحقة بها جميعها، وعميقة في منهاجها الذي يشمل ميادين الحياة كلّها، وشاملةٌ لقضايا الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والحضارة، والمرأة والطفل والشباب.

إن حاجة الإنسانية تشتد إلى سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام في هذه الظرفية التي يعيشها العالم أكثر من أي وقت مضى؛ ومما تحتاجه الأمة اليوم تعامله صلى الله عليه وسلم مع الشباب الذين حضروا في أهم مفاصل الحياة النبوية والرسالة الإسلامية.

لقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم جيلًا مؤمنًا متحليا بأخلاق الإسلام وقيمه، وكان الغالب في هذا الجيل شريحة الشباب؛ لأنهم أكثر الناس تأثرًا، وأسرعهم استجابة، وأشدهم تفاعلًا، وأقواهم تحملا، وأفهمهم لكل جديد..

فالشباب هم الذين حملوا عبء الدعوات وما صاحبَها من تضحيات ومشاق، وقد أثنى القرآن الكريم عليهم في قوله جل وعلا: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)، «سورة الكهف، الآية 13».

والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم منح الشباب رعايةً وعناية وتربية وتعليما، وإذا تأملنا سيرته الخالدة وحياته الطاهرة فإننا سنقف أمام عطاءٍ غامر ودروس باهرة في الاهتمام بالشباب والمحافظة عليهم، وتوجيههم الوجهة الصحية وتربيتهم التربية السلمية، وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ويؤهلهم لقيادة الأمة.

من أجل هذا جاءت هذه المقالة العلمية المختصرة لتلقي نظرةً على ذلك، وعلى تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم في السيرة النبوية من خلال رصد نماذج من شباب الصحابة رضي الله عنهم.

أولا-منزلة الشباب في سيرة خير الأنام ﷺ:

إن الشباب هم عماد الأمة وسرّ نهضتها وبناة عمرانها، ومشاعل حاضرها، ومعقد آمالها، وهم حماة الأوطان والمدافعون عن حِياضها، ذلك بأن مرحلة الشباب هي مرحلة النشاط والحيوية والطاقة والعطاء المتدفق، فهم بما يتمتعون به من قوة عقلية وبدنية ونفسية فائقة يحملون لواء الدفاع عن الوطن حال الحرب، ويسعون في البناء والتنمية في أثناء السلم، وذلك لقدرتهم على التكيُّف مع مستجِدات الأمور ومستحدثات الخُطوب في مختلِف المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية...

لذلك اهتم بهم النبيّ ﷺ اهتماماً بالغا، ولا عجب بذلك إذا علمنا أن الذين آمنوا معه في بداية الدعوة كلّهم من الشباب فأيدوه ونصروه وآووه وذادوا عنه ونشروا دعوته وتحملوا في سبيل ذلك صنوفا من المحن والأذى احتسابا لله سبحانه وتعالى.

ومن العناية النبوية بالشباب تشجيعه لهم على طاعة الله تعالى، حتى تصلح لهم دنياهم وأخراهم، وفي هذا يقول ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله...)) [1]. فرغبهم في لزوم طاعة الله لأنها المنجاة من كل كرب وضيق في الدنيا والآخرة؛ فأثمر هذا التشجيع النبوي شبابا متطلعا للآخرة، عاملا لها، نافعا لنفسه ولأمته، يقوم بواجبه تجاه أهله، ويتفانى في خدمة غيره، يدل على ذلك حديث أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: ((كان شَبَاب مِن الأَنْصَارِ سَبْعِينَ رَجُلا يقال لهم الْقُرَّاء، كَانُوا يَكُونُونَ في الْمَسْجِدِ فإذا أَمْسَوا انْتَحَوْا نَاحِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَتَدَارَسُونَ وَيُصَلُّونَ، يَحْسِبُ أَهْلُوهُم أَنَّهُم في الْمَسْجِدِ، وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُم في أَهْلِيهِمْ حتى إذا كَانُوا في وَجْهِ الصُّبْحِ اسْتَعْذَبُوا مِنَ الْمَاءِ وَاحْتَطَبُوا مِنَ الْحَطَبِ فجاؤوا بِهِ فَأَسْنَدُوهُ إلى حُجْرَةِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَهُمُ النبي صلى الله عليه وسلم جَمِيعاً فأصيبوا يوم بِئْرِ مَعُونَةَ فَدَعَا النبي صلى الله عليه وسلم على قَتَلَتِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً في صَلاَةِ الْغَدَاةِ)) [2]..

وإن رأى صلى الله عليه وسلم شابا صالحا عنده ترك لبعض النوافل أثنى على صلاحه تشجيعا له؛ فإن التشجيع يعمل عمله في القلوب، ثم أرشده بعد ذلك إلى ما عنده من النقص ليكمله، فثناؤه عليه بما فيه من الخير يفتح قلبه لتلقي الإرشاد، وفي ذلك قصة ابن عمر رضي الله عنهما يحكيها وكان شابا صالحا فيقول: ((كان الرَّجُلُ في حَيَاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَمَنَّيْتُ أن أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ في الْمَسْجِدِ على عَهْدِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَيْتُ في النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بي إلى النَّارِ فإذا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وإذا لها قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبِئْرِ وإذا فيها نَاسٌ قد عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِالله من النَّارِ أَعُوذُ بِالله من النَّارِ أَعُوذُ بِالله من النَّارِ، قال: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فقال لي: لم تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا على حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ على رسول اللَّهِ صلى

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ح629. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح1031.

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، 126/21.

الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ لو كان يُصَلِّي من اللَّيْلِ، قال سَالِمٌ: فَكَانَ عبد اللَّهِ بَعْدَ ذلك لَا يَنَامُ من اللَّيْلِ إلا قَلِيلًا)) [3].

فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليه بما فيه من خصال الخير، ثم وجهه إلى ما ترك من نافلة قيام الليل، فكان هذا التوجيهُ النبوي بعد الثناء محلّ قبول ابن عمر وتنمية لطاقته الإيمانية الروحية وإرادته القوية وقدراته في طاعة الله، فعمل بإرشاد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب ما كان يعاملهم به من التقدير لحقوقهم والاعتراف بمكانتهم، ويدل على ذلك ما جاء في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: ((أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله يا رسول الله لا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في يَدِهِ)) [4]. فلم يحتقر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشابَ لصغر سنه بل اعترف له بحقه الذي شرعه له الإسلام لأنه عن يمينه صلى الله عليه وسلم، فاستشاره في تقديم الشراب إلى من هو أكبر منه، ومن له مكانة عند المسلمين، إلى أفضل هذه الأمة بعد نبيها وهو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه). فآثر الغلام أن يشرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم فشرب.

أضف إلى ذلك ما كان يقابلهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من السرور وطلاقة الوجه –وهو سيد البشر– كما يروي ذلك الشاب جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي...)) [5].

وفي سياق عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشباب النابعة من فهم عميق بخصائص هذه المرحلة نجد النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يغفل عن ضبط حماسهم وتوجيههم إلى ما يتناسب وطبيعة أعمارهم. ويدل على ذلك قصة الشباب الثلاثة الذي أبدوا حماسًا في العبادة، كما يروي ذلك أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي (صلى الله عليه وسلم) قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) [6].

فلم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم منهم الانقطاع التام للعبادة؛ لأن كدَّهم هذا واجتهادهم في جانب واحد يمكن أن يُكبت قدراتهم في جوانب الحياة الأخرى ويعزلهم عن العمل.

ومن عنايته صلى الله عليه وسلم وتشجيعه للشباب إبرازًا صلى الله عليه وسلم لقدراتهم ومهاراتهم: استماعه إلى آرائهم وتشجيعه لهم على ذلك: إذ بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع قادة المجتمع وقدواته كان

---

[3] صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، ح1070. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ح2479.

[4] صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب إذا أذن له أو أحله، ولم يبين كم هو، ح2319. صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ح2030.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ح5739. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ح2475.

[6] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح4776. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ح1401.

يستمع لآرائهم وأفكارهم حول المواضيع المختلفة، ويستشيرهم فيما يعرض لهم من الأمور، فكان دائمًا يقول: ((أشيروا عليَّ أيها الناس))[7]. ينتظر منهم أن يفكروا ويعبروا عن أفكارهم بصراحة ووضوح، ولا أدل على ذلك من استشارتهم في غزوة بدر وأحد والخندق وغيرها، واستماعه لهم في اعتراضهم على توزيع الغنائم على المسلمين الجدد بعد فتح مكة المكرمة؛ ليكون هذا الأمر منهاج حياة للمجتمع المسلم القائم على الشورى وتبادل الآراء، ومراعاة الاختلاف...

ثانيا- صناعة الثقةِ لدى الشباب وتنمية مهاراتهم العملية:

إن من أهم القواعد في بناء الشخصية الوازنة وصنعِ النجاح هو الثقة بالنفس، والقارئ لسيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنه قد عمل على صنع ثقة الشباب بأنفسهم، فقد قام بإعطاء الشباب الكثير من المسؤوليات الجسام والمهام العظام، مما أدى إلى زيادة ثقتهم بأنفسهم، وتنمية إرادتهم ومهاراتهم وإخلاصهم في عملهم.

ومن أمثلة ذلك:

- **مصعب بن عمر رضي الله عنه:** أول مبلغ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الإسلام في المدينة المنورة وكان عندئذٍ في ريعان شبابه. وقد استطاع مصعب -رضي الله عنه- بالرغم من حداثة سنه أن يقنع الكثير من الناس في المدينة المنورة ـ وكانت المدينة يومها من أهم مدن الجزيرة العربية . وقد عمل بكل جد وإخلاص من أجل التأثير في الناس، وإقناعهم برسالة الإسلام السمحة.

وفي اختياره صلى الله عليه وسلم لمصعب وهو شاب دليل على عنايته صلى الله عليه وسلم بالشباب وصقل همهم وقدراتهم ومواهبهم، فقد آنس - عليه الصلاة والسلام- من ابن عمير رشدا وفطانة ونباهة تؤهله للقيام بأمر الدعوة إلى الله في بيئة جديدة، فنمَّى مهاراته في الدعوة ورفع همته وشحذ قدراته.

- **معاذ بن جبل رضي الله عنه:** ومن الحوادث الشهيرة التي تدل على تنمية النبي صلى الله عليه وسلم لمهارات الشباب وقدراتهم ما حدث للصحابي الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله صلى الله عليه وسلم عاملًا على اليمن، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سأله: ((كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟)) قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟)) قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟)) قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَدْرَهُ وَقَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)) [8].

فهذا تشجيع من النبي صلى الله عليه وسلم وتنمية لمواهب معاذ وقدراته في الاجتهاد فيما يعترضه من نوازلَ ومستجِدات.

إن هذا الأسلوب النبوي في التعامل مع الشباب من شانه أن يوسع لهم الآفاق ويزيد من ثقتهم بأنفسهم، وينمي لديهم حس المسؤولية، ويشجعهم على العمل بجد وإخلاص.

-**أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:** وهي أصغر من عبد الله بن أبي بكر، اختارها النبي صلى الله عليه وسلم لتشارك في أحداث الهجرة النبوية المباركة بكل ما أوتيت من نباهة وذكاء، فتضع نطاقها وكاءً للطعام

---

[7] ينظر: سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 188/2.

[8] سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ح3592.

والشراب، وتسارع في حل مشكلة المال المحمول مع أبيها فتخترع قصة الحجارة حتى تُسْكن الشيخ وتهدِّئ من روعه. وهي تعلم أن أباها قد حمل المال كلّه وتركهم لله ورسوله. إنه المنهج النبوي في رفع همم الشباب وتنمية قدراتهم وطاقاتهم ومواهبهم.

- **سمرة ورافع** رضي الله عنهما: لقد "أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ -يوم أحد- سَمُرة بن جندب، ورافع بن خَديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمسَ عشرةَ سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسول الله، إن رافعاً رامٍ. فأجازه. فلما أجاز رافعا قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعا. فأجازه. وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامةَ بنَ زيدٍ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأُسيد بن حضير، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمسَ عشرةَ سنة"[9]..

رغم حداثة سنّهم أجازهم النبي صلى الله عليه وسلم، تنمية لما لديهم من قدرات وطاقات ومهارات.

- **علي رضي الله عنه:** ويوم خيبر قال صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية رجلا يحب اللهَ ورسوله، ويحبه اللهُ ورسوله...» ودفع الراية إلى علي، ففتح الله على يديه[10]. ويوم الهجرة كان الفدائيّ الذي نام في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمره يومئذ ثلاثةً وعشرين عاما، وعرّض نفسه للقتل ونقمة قريش. وجاهدَ في بدر وكان علي أحد الثلاثة الذين بدأوا المبارزة (هو وعمه حمزة، وابن عمه عبيدة بن الحارث)، فقتل خصمه شيبة بن ربيعة. وفي الخندق، هو الذي بارز كبش الكتيبة عمرو بن ود العامري، فقتله. وكان عمرو قد شهد بدرا ونذر ألا يمسّ رأسه دهنا حتى يقتل محمدا !!. ولازم عليّ أبا بكر وعمر وعثمان في الحكم فكان المستشار والوزير والمعين.. ولطالما قال عمر رضي الله عنه: "لولا عليٌّ لهلك عمر"[11].

- **الزبير بن العوام رضي الله عنه** حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي الخندق قال صلى الله عليه وسلم: «من يأتيني بخبر القوم»؟ فقال الزبير: "أنا"، فذهب على فرس فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية ففعل، ثم الثالثة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حواريّ، وحواريِّ الزبير»[12]. وكانت له شجاعة نادرة في اختراق صفوف المشركين يوم حنين ويوم اليرموك واليمامة، وكان له أثر عظيم في فتح حصن بابليون، وتمكين عمرو ابنِ العاص من استكمال فتح مصر.. إن الوسام النبوي الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عنق الزبير نمَّى قدراته وكشف عن مهاراته وطاقاته.

- **عتّاب بن أسيد رضي الله عنه:** وبعد الفتح الأعظم مكة المكرمة بفترة زمنية قليلة، اضطر رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج منها بجيشه، والتوجه نحو جبهة القتال، وكان لابد من تعيين قائد لمكة المكرمة لإدارة شؤونها، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم من بين جميع المسلمين شابًا لم يتجاوز الواحد والعشرين

---

[9] عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، ط1: 1414/1993، 12/2.

[10] صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح1807.

[11] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1: 1412هـ/1992م، 1103/3.

[12] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ح3887.

عامًا، وهو (عتاب ابن أسيد) أميرا لمكة المكرمة وأمره أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة.

- ومن تنميته صلى الله عليه وسلم لقدرات الشباب القيادية ومهاراتهم في تحمل المسؤولية استخلافه لكثير من الشباب على دولة المدينة المنورة في بعض غزواته: حيث استخلف سعد بن عبادة رضي الله عنه في غزوة "الأبواء". وعثمان بن مظعون رضي الله عنه في غزوة "بُوَاط". وأبا سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه في غزوة "العُشَيرة". وزيد بن حارثة رضي الله عنه في غزوة "بدر الأولى" و"المريسيع". وعمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه في غزوة "بدر الكبرى" وفي "أحد" و"حمراء الأسد" و"بني النضير" و"بني قريظة"، وعلي بن أبي طالب في "غزوة تبوك"، وأبا لبابة الأنصاري في "غزوة بني قينقاع" وغيرهم كثير.

- **أسامة بن زيد رضي الله عنهما:** في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم عبأ المسلمين لقتال الروم، وضم جيشه كبار الضباط وأمراءَ الجيش ورجال المهاجرين والأنصار وشيوخ العرب والشخصيات البارزة آنذاك.

وقد استدعى الرسول صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما وهو دون العشرين وعقد له لواء القيادة وخوّله إمارة الجيش. واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر عاما. "عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ "[13].

إن في تأمير أسامة على مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، سابقةٌ عظيمة لم تعهدها أمةٌ من الأمم، تدل على وجوب فسح المجال لكفاءات الشباب وعبقرياتهم ومهاراتهم وتمكينهم من قيادة الأمور حين يكونون صالحين لذلك.

لقد أصرت القيادة على إنفاذ بعث (أسامة بن زيد) في وقت حرج صعب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد كثير من العرب عن الإسلام، والتهديدات تُحيك بالأمة من الداخل والخارج، ولكنها النظرة الاستراتيجية الثاقبة المهتدية بنور الله. فما أحوجنا اليوم إلى استثمار طاقة الشبابِ وتأهيله وإتاحة الفرصة له.

ولا يخفى على أحد أن الشرط الأساس لاختيار الشباب هو كفاءتهم وصلاحيتهم، فالشباب الذين اختارهم النبي صلى الله عليه لتولي المناصب الحساسة في الدولة كانوا يتمتعون بالكفاءة العالية والأخلاق الدمثة، فكان تعيينُه صلى الله عليه وسلم لهم تنمية لقدراتهم ومهاراتهم وتشجيعا لطاقاتهم حتى يقدموا الخير والنفع لأمتهم ومجتمعهم.

وفضلا عن ذلك فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوزع الاختصاصات والأعمال بحسب المواهب؛ فقد وجه عليا ومعاذا للقضاء، وأوصى زيدا بالفرائض والقرآن، وابن مسعود بالفقه والفتوى، وخالدا بالجهاد والقيادة.. كما وجه زيدا إلى اللغات والترجمة لما رآه فيه من قدرة وطاقة على ذلك: قَالَ زَيْدٌ: «ذُهِبَ بي إِلَى النَّبِيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأُعْجِبَ بي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلامٌ مِنْ بَنِي النَّجّارِ مَعَهُ مِمّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالَ: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»، قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ (لَهُ) كِتَابَهُمْ، مَا مَرّتْ بي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا

[13] صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، ح2524. مسند الإمام أحمد، 129/10.

إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ»[14]، (أخرجه أحمد). لقد أبصر رسولنا – صلى الله عليه وسلم – ملامح الإبداع والذكاء المتوقّد والطاقة الشديدة والمهارة المتقنة عند زيد بن ثابت، من خلال حفظه المتقن لسورٍ من القرآن الكريم، فحضَّه على تعلّم لغة اليهود، وبذلك يكون زيد قد تميّز عن أصحابه من خلال نبوغه في علوم مختلفة.

أضف إلى كل ما تقدم تشجيعه صلى الله عليه وسلم للشباب على العمل: فعن أنس أن رجلا من الأنصار أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – يسأله، فقال: " أما في بيتك شيء؟ "، فقال: بلى حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : " ائتني بهما " فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده ، وقال : " من يشتري هذين ؟ " . قال رجل: أنا آخذهما بدرهم ، قال : " من يزيد على درهم ؟ " مرتين أو ثلاثا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين ، فأعطاهما الأنصاري ، وقال : " اشتر بأحدهما طعاما ، فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما ، فائتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عودا بيده ، ثم قال : " اذهب ، فاحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما " فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاءه ، وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع " [15].

بهذا استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يصنع الثقةَ في نفوس أولئك الشباب وينمي قدراتهم ومهاراتهم، مما جعلهم يتحملون المسؤوليات الجسام بصبر وتضحية وتحمل وإخلاصٍ، فكان لها الفضلُ الأكبر في نشر راية الإسلام ربوع الأرض كلها.

ومن ثم فإن الناظر في السيرة النبوية يجد النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُسند قيادة الجيوش في كثير من الأحيان إلى الشباب، وقد يكون في القوم من كبار السن وأصحاب الخبرة العديد، لكنه صلى الله عليه وسلم يرى شخصيةً شابة صغيرةً في السن، لكنه يروم فيها كبر المعاني ورجاحة العقل، فيعمل على تنميتها ورعايتها حتى تغدو ذات شأن عظيم، وتقوى وتعتدّ بإسلامها، وليعرِفَ الآخرون أن الشخصية المسلمة لا تقاس بالأعمار ولا بالأجسام بل بقوتها وعزتها بإيمانها وإسلامها.

وأختم هذه النماذج بحديث يفتح أبواب التنمية والعمل على مصراعيه للشباب ليكونوا إيجابيين فاعلين في مجتمعهم، ويدعوهم إلى العمل والأخذ الأسباب، وعدم الركون إلى العجز والكسل. يروي أنس الشاب -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ» [16].

إنه ترغيب في العمل والتنمية حتى آخر فرصة من الحياة وفي أحرج اللحظات.

---

[14] مسند الإمام أحمد بن حنبل، 490/35.

[15] سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، ح1641.

[16] مسند أحمد بن حنبل، 296/20.

ومن ثم فإن المجتمع الذي أسس له المصطفى صلى الله عليه وسلم مجتمعٌ فعال، ويرجع السبب الرئيس في فاعلية هذا المجتمع إلى طبيعة الشخصية التي بناها المصطفى صلى الله عليه وسلم فلقد كانت شخصية فعالة، وكان السر في هذه السمة طبيعة المنهاج الرباني وأثره البالغ في استثارة همم الشباب ورفع قدراتهم العقلية والروحية والفكرية، وحسن توظيف طاقاتها وصقل هممها، لقد قدم المنهج النبوي لهذه الأمة في كل زمان ومكان أسس التقدم والنجاح الذي يعتمد على وقود الأمة وطاقاتها (الشباب).

مسك الختام:

إن الأمة لن تسعد ولن يحصل لها عزٌّ وفلاح وسؤددٌ وشأنٌ إلا حينما يتأسى شبابها بشباب العهد الأول: صلاحٌ في الدين والسلوك، والتزام بالأخلاق والقيم، وإعمارٌ للأرض، وجدٌّ في كل عملٍ صالح مُثمِر وفعلٍ للخيرات.

ذلك بأن صلاح حال الأمة بصلاح شبابها، ومستقبلها رهين بحاضرهم، فبهم تقام الحياة، وبهم تبنى المجتمعات والحضارات..

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام وآله وصحبه الكرام.